

التحرير والتنوير

هذا استئناف بياني ناشئ عن قوله (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) , أي يستغنى عن سؤالهم بظهور علاماتهم للملائكة ويعرفونهم بسيماهم فيؤخذون أخذ عقاب ويساقون إلى الجزاء .

والسيما : العلامة . وتقدمت في قوله تعالى (تعرفهم بسيماهم) في آخر سورة البقرة . و (ال) في (بالنواصي والأقدام) عرض عن المضاف إليه , أي بنواصيهم وأقدامهم وهو استعمال كثير في القرآن .

والنواصي : جمع ناصية وهي الشعر في مقدم الرأس, وتقدم في قوله تعالى (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) في سورة هود .

والأخذ بالناصية أخذ ممكن لا يفلت منه, كما قال تعالى (لئن لم ينته لنسفعا بالناصية) .

والأقدام : جمع قدم, وهو ظاهر الساق من حيث تمسك اليد رجل الهارب فلا يستطيع انفلاتا وفيه أيضا يوضع القيد, قال النابغة : .

أو حرة كمهارة الرمل قد كبلت ... فوق المعاصم منها والعراقيب (فبأي آلاء ربكما تكذبان [42]) تكرير كما تقدم في نظيرها الذي قبلها .

(هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون [43] يطوفون بينها وبين حميم آن [44]) هذا مما يقال يوم القيامة على رؤوس الملائكة .

(وجملة . لهم وفضح للمجرمين تسفيهه (المجرمون بها يكذب التي) ب (جهنم) ووصف A E يطوفون) حال من (المجرمون) , أي قد تبين سفه تكذيبهم بجهنم اتضاحا بينا بظهورها للناس وبأنهم يترددون خلالها كما ترددوا في إثباتها حين أذروا بها في الدنيا . والطواف : تردد المشي والإكثار منه, يقال طاف به, وطاف عليه, ومنه الطواف بالكعبة, والطواف بالصفة والمروة, قال تعالى (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) وتقدم في سورة البقرة .

والحميم : الماء المغلي الشديد الحرارة .

والمعنى : يمشون بين مكان النار وبين الحميم فإذا أصابهم حر النار طلبوا التبريد فلاح لهم الماء فذهبوا إليه فأصابهم حرة فانصرفوا إلى النار دواليك وهذا كقوله (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) .

وآن : اسم فاعل من أنى, إذا اشتدت حرارته .

(ولمن خاف مقام ربه جنتان [46] فبأي آلاء ربكما تكذبان [47] ذواتا أفنان [48]
فبأي آلاء ربكما تكذبان [49] فيهما عينان تجريان [50] فبأي آلاء ربكما تكذبان [51]
فيهما من كل فاكهة زوجان [52] فبأي آلاء ربكما تكذبان [53]) انتقال من وصف جزاء
المجرمين إلى ثواب المتقين . والجملة عطف على جملة (يرف المجرمون بسماهم) إلى
آخرها , وهو أظهر لأن قوله في آخرها (يطوفون بينها وبين حميم آن) يفيد معنى أنهم فيها
.

واللام في (لمن خاف) لام الملك , أي يعطى من خاف ربه ويملك جنتين , ولا شبه في أن من خاف
مقام ربه جنس الخائفين لا خائف معين فهو من صيغ العموم البدلي بمنزلة قولك : وللخائف
مقام ربه . وعليه فيجاء النظر في تأويل ثنية (جنتان) فيجوز أن يكون المراد : جنسين
من الجنات .

وقد ذكرت الجنات في القرآن بصيغة الجمع غير مرة وسيجاء بعد هذا قوله (ومن دونهما
جنتان) فالمراد جنسان من الجنات .
ويجوز أن تكون الثنية مستعملة كناية عن التعدد , وهو استعمال موجود في الكلام الفصيح
وفي القرآن قال الله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)
ومنه قولهم : لبيك وسعديك ودواليك , كقول القوال الطائي من شعر الحماسة : .
فقولاً لهذا المرء ذو جاء ساعيا ... هلم فإن المشرفي الفرائض أي فقولوا : يا قوم , وتقدم
عند قوله تعالى (سنعذبهم مرتين) في سورة التوبة . وإيثار صيغة الثنية هنا لمراعاة
الفواصل السابقة واللاحقة فقد بنيت قرائن السورة عليها والقريئة ظاهرة وإليه يميل كلام
الفراء , وعلى هذا فجميع ما أجري بصيغة الثنية في شأن الجنتين فمراد به الجمع .
وقيل : أريد جنتان لكل متق تحفان بقصره في الجنة كما قال تعالى في صفة جنات الدنيا
(جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب) الآية , وقال (لقد كان لسبإ في مساكنهم آية جنتان عن
يمين وشمال) فهما جنتان باعتبار يمنا القصر ويسرته والقصر فاصل بينهما